

## عبدالكريم قاسم

### طاغية العراق

يمثل العراق الطرف الشرقي لحدود الأمة العربية ، والعرب في العراق يشكلون ٨٠٪ من السكان والباقي ١٦٪ أكراد ، ٢٪ أتراك ، ٢٪ من الإيرانيين والهنود الأرمن .

ويدين ٩٤٪ من السكان بالإسلام أكثر من الثلث منهم على مذهب الشيعة ، والباقي على المذهب السني .

ويصل تعداد المسيحيين في العراق نحو ٢,٥٪ يقيمون في المدن الكبرى كالموصل وبغداد والبصرة ، هذا إلى جانب أقلية بسيطة من اليزيديين والصابئة واليهود .

ومن الجدير بالذكر أن مساحة العراق حوالي ٤٥٣,٥٠٠ كم<sup>٢</sup> والعراق قطر عربي عريق ، ومنذ الجاهلية كان يسكنه بعض قبائل عربية من ربيعة ومعز وكان له دائماً دور كبير في تطور الحضارة العربية والإسلامية حيث كانت بغداد عاصمة العباسيين ، هي مركز الإشعاع الحضاري للمجتمع الدولي لقرون طويلة وتجاور العراق الآن تركيا وسوريا وإيران وشرق الأردن وإذا ، كانت الخلافة

العباسية قد انتقلت من بغداد إلى القاهرة عقب الهجوم المغولي على العراق على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ( ١٢٥٨ م ) فإن القاهرة انتقلت للعراق بدحرها المغول في معركة عين جالوت بعد ذلك بستين ..

وبمجيء العثمانيين إلى أرض العراق ، أصبح العراق مجرد مجموع من الولايات تخضع لإستانبول حتى هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤/١٩١٨ ) ، فأصبح العراق خاضة للانتداب البريطاني الذي كان في واقعه احتلالاً كاملاً ، وحاوا الاستعمار الإنجليزي أن يجعل العراق جزءاً من إمبراطورية الهند وأن ينقل ملايين الهنود إلى العراق حتى تزول معالم العروبة في العراق وتتحطم قوميته العربية ، وتعرف هذه السياسة باسم « تهنيء العراق » والتي فشلت فشلاً ذريعاً ، ولكن الحركة الوطنية في العراق تصدت للإنجليز الذين اضطروا إلى توقيع عدة معاهدات مع العراق حتى يضمنوا لأنفسهم حماية مصالحهم ، فعدقوا معاهد يونيو سنة ١٩٢٦ ثم معاهدة يونيو سنة ١٩٣٠ ، وانتهى الانتداب البريطاني على العراق في أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، وهو تاريخ دخو العراق منظمة عصبة الأمم كدولة مستقلة ولكن ذلك لم يتيسر إلا بعد أن جعلت مدة المعاهدة بين البلدين ( الموقعة سنة ١٩٣٠ حوالي ربع قرن أي أن موعد نهايتها كان سنة ١٩٥٥ ولكن ؛

يناير سنة ١٩٤٨ اضطرت حكومة بريطانيا إلى توقيع معاهدة جديدة في بورتسموث مع حكومة بغداد ، وجاءت هذه المعاهدة مناقضة تماما لأمانى الشعب العراقى مما أدى إلى إلغائها .

### الحكم الملكى :

فى شهر أبريل عام ١٩٢٠ أصبح العراق تابعا للانتداب البريطانى بناء على قرارات مؤتمر « سان ريمو » ، وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ توج الملك فيصل ملكاً على عرش العراق وهو فيصل بن الشريف الحسين حاكم الحجاز المعروف و فيصل هذا كان أخو الأمير عبدالله أمير شرق الأردن فيما بعد .

وقد تعرض العراق فى فترة الحكم الملكى للكثير من القلاقل والاضطرابات ، والتي أدت إلى سحق الشعب العراقى على حاكميه ، وبالذات أولئك الساسة الفاسدين الذين استغلوا العهد الملكى أبشع استغلال ، نذكر من هذه القلاقل المذبحة التى قام بها الجيش العراقى بناء على الأوامر الصادرة له فى سنة ١٩٣٣ ، ونذكر أيضا ثورة القبائل على طول نهر الفرات فى سنتى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ثم ذلك الانقلاب العسكرى الذى وقع فى عام ١٩٣٦ - ( أكتوبر ) بقيادة الجنرال بكر صدقى ، وتم بمساعدة بعض العناصر السياسية الراغبة فى الإصلاح والساخطة على الوضع ولكن الانقلاب فشل وقتل بكر صدقى بعد أقل من سنة ، أى فى أغسطس ١٩٣٧

وفي عام ١٩٣٧ انضم العراق إلى حلف « سعد أباد » ، وكان هذا الحلف يضم إلى جانب العراق كلا من تركيا وإيران وباكستان وبالطبع حصل على « بركة الاستعمار الإنجليزي » .

وفي سنة ١٩٤١ قامت في العراق ثورة بزعامة رشيد عالي الكيلاني ، ولكن سرعان ما قضى عليها بفضل حراب الإنجليز ، ولما وقعت معاهدة « بورتسموث » وكانت شروطها مجحفة بالعراق ثارت ثائرة الشباب سواء في الجيش أو من المدنيين مما أجبر بريطانيا على إلغائها والعودة إلى معاهدة ١٩٣٠ ، وقد منعت السياسة البريطانية العراقيين من المشاركة الفعالة في حرب فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨ : وكل هذا بلا شك كان يمهد لمزيد من السخط الشعبي ، ولم يلبث ساسة العراق في العهد الملكي أن جروا العراق إلى سياسة المحالفات إلى المعسكر الغربي ، ونظير إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٠ ، والتي كان من المفروض أن تنتهي في عام ١٩٥٥ بشكل تلقائي ومن هنا نجد العراق في شهر فبراير ١٩٥٥ يتحالف مع حكومة تركيا وفي أبريل من نفس العام تنضم إلى هذا التحالف بريطانيا ، وفي سبتمبر تلحق بهما باكستان ثم في أكتوبر من نفس العام أيضا تضم لهم إيران ، وهكذا اكتمل حلف بغداد من خمس دول في سنة ١٩٥٥ هي العراق ، تركيا ، بريطانيا ، باكستان ، إيران وكان بطل هذا التحالف من الجانب العراقي السياسي الداهية نورى

السعيد والذي كان عدواً للحركة القومية العربية على حساب الارتباط بالمصالح الغربية .

والعجيب أن العهد الملكي كان يضم مجموعة من الأحزاب وانتخابات برلمانية وبرلمانات تمثل كل الاتجاهات ، ولكن الشكل العام للممارسة الديمقراطية كان في الواقع أسطورة كاذبة ، وكان أعوان الاستعمار يخدعون بها العالم الخارجي فيزيقون الانتخابات في نفس الوقت الذي تمتلئ فيه السجون بالأحرار ، وطالب الوطنيون ضرورة التغيير ، بعد أن أصبح التغيير مطلباً ملحاً وإلا فإن تأجيل لإصلاح الحقيقي نذير بالثورة ، وهكذا لا نستغرب أن نجد توفيق لسويدى يخطب في ٢٥ يناير سنة ١٩٥٨ في مجلس الأعيان لعراقي قائلاً :

« إن الدستور العراقي بوضعه الراهن ليس دستوراً إنه أشبه باتفاقية و معاهدة ، إن تطور الزمن يقضى بتعديل الدستور ، إن سياسة عراق في ظل الدستور الحالي سيامة غير برلمانية ، التقاليد الدستورية ميدة عن تطمين الناس . الحكومات تستقيل وتؤلف غيرها ، لا يعرف أحد أسباب تبديل الوزارات ، السياسة الاقتصادية عندنا اشلة ، السرقات منتشرة ، الرشاوى شىء عادى .. » .

وهكذا يمكن أن يقال إن العراق كان مستعداً لتقبل ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ وأن المناخ السياسي كان يتنبأ بتلك الثورة قبل وقوعها .

## عبد الكريم قاسم والسلطة :

قصة حكم عبد الكريم قاسم للعراق قصة طويلة ، تناثرت فيها الأشلاء وسفكت فيها الدماء ، وانتهكت فيها الأعراض والحرمات وديس فيها جميع قيم الشعب .

لم يكن عبد الكريم قاسم هو صاحب ثورة العراق التي قامت ضد الحكم الملكي في ١٤ تموز ( يوليو ) ١٩٥٨ ، بل كان المخطط الأصلي هو عبد السلام عارف ، محمد حبيب ، عبد الجبار الجومرد ، ولكن عبد الكريم قاسم هو وحده الذي نجح في السيطرة على زملائه ، وفور نجاح الثورة احتكر لنفسه رئاسة الوزارة العراقية ووزارة الدفاع وقيادة القوات المسلحة ، بينما جعل من عبد السلام عارف نائباً له ووزيراً للداخلية ، وأعطى للضباط زملائه ثلاث وزارات هي وزارة المالية للزعيم الركن عبد الجبار الجومرد ، الشؤون الاجتماعية للزعيم الركن ناجي طالب ..

ولما وجد عبد الكريم قاسم أن خط سير الثورة لا يسير وفقاً لهواه سرعان ما تحالف مع الشيوعيين العراقيين ، وكذلك بعض العناصر الشعبية لضرب التيار القومي الوحدوي الذي كان يقوده عبد السلام عارف ، ونجح عبد الكريم قاسم في ضرب وحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة التي كان قد أعلن عنها بين مصر وسوريا قبل قيام ثورة العراق بخمسة شهور تقريباً .

ولذا كانت الضربة الأولى ضد عبد السلام عارف ، ثم تلنها لضربة الثانية وهي ضرب المواقع القيادية في الثورة العراقية التي كانت تخطط للنهج العربي الوحدوي وسنده .

وتبدأ الخطوة الثالثة بالانطلاق الهمجى الشرس ضد كل العناصر الفئات والمنظمات والمؤسسات القومية المؤمنة بالوحدة وبتحرير الشعب وبإقامة المجتمع العادل ..

واستعان بالشيوعيين العراقيين الذين مثلوا مخالب القط المتعاون معه لتحقيق مخططة ظناً بذلك أنه أذكى منهم ، ولم يكن يدرك نهم بدورهم يستغلونه لتحقيق مطامعهم في العراق حيث بدءوا في الوقت نفسه يطرحون شعاراتهم الخاصة ويحققون المكاسب لحزبهم تدريجياً ، ونجحت الحركة الشيوعية العراقية في التفتير بعيد الكريم قاسم والسيطرة عليه تماماً عن طريق الادعاء بأنها تريده أن يكون الزعيم الأوحده في العراق وعملت على الترويج لهذه الفكرة بين أتباعها وفي نشراتها وصحافتها .

ومن خلال هذه الفكرة الخبيثة ، أوقعت بين ثورة العراق وبين عبد الناصر بحجة أن عبد الناصر لوتوحدت العراق معه سيسيطر على ثورة العراق وسيصح عبد الكريم قاسم في الظل ، وعلى هامش السياسة وبالتالي يفقد شخصيته المميزة .

## سنوات حكم قاسم :

وقد حكم عبد الكريم قاسم العراق في الفترة من ١٩٥٨ ( يوليو ) حتى فبراير ١٩٦٣ ، ولكن في خلال هذه السنوات الخمس حفر سطوراً سوداء في تاريخ العراق تاريخاً مضغوطاً مركزاً استوعبت أحداثاً جساماً دفعت إلى المسرح العربي السياسي بشكل أعاد إلى الأذهان فترة العصور الوسطى .

ولعل ما حدث يجب أن يكون درساً للشعوب قبل أن يكون عظة للثوار ومن هنا علينا أن نقف لحظة فاصلة في تاريخنا نتأملها لا بنزعة تأملية مجردة ، ولكن بنزعة من يهدف إلى فهم واقعه وإلى فهم تاريخه وإلى فهم وجوده .

فقد قلب عبد الكريم قاسم كثيراً من القيم ، ومزق كثيراً من المفاهيم ، لقد كان النظام القاسمي الشعبي الأسود تحدياً لشخصية العربي في العراق ، تحدياً لإمكانات هذه الشخصية وطاقاتها ونزوعها للنمو والانتساع ، إن هذا النظام الذي أقامه عبد الكريم قاسم في العراق كان تحدياً ولاشك ، كان تحدياً لآمال جماهيرنا العربية في الوحدة وفي الحرية الاشتراكية على السواء ، لقد كان نظاماً أقيمت قواعده المزورة ورفعت دعائمه المصدعة لا من أجل تحقيق أمل شعبي ، بل من أجل ضرب كل مطمح جماهيري ، وكل نزوع شعبي ضحى من أجله الشعب ، ومارس أساليبه الثورية بصلابة وإيمان .

لقد وجه عبد الكريم قاسم طعناته الغادرة لكل ما هو عربي ، لجميع أهداف جماهيرنا العربية ، لقد تمخض الشعب بدماء أحراره التي أسأها ، وخلال فترة حكمه التي استمرت ما يقرب من خمس سنوات حكم العراق حكماً فردياً مطلقاً وأمعن في القضاء على حقوق العراقيين السياسية بمطاردة الأحرار وأخذ الأبرياء بالشبهات وتحالف مع الشيوعيين ضد القوميين ، ونكل بالمتقنين وزجهم في السجون والمعتقلات وفرض الرقابة على الصحف ، وفي مثل هذا الجو الخائني وفي ظل هذه الأوضاع الشاذة كان لا يمكن لشعب العراق أن يسكت .

وفي عهد عبد الكريم قاسم نصبت المشائق للوطنيين ، وعبئت السجون بالأحرار الثوريين وأبعد الكثيرون عن أرض الوطن ، وسجل الشباب في الشوارع وهدمت المنازل على من فيها إذا ضمت معارضاً واحداً يعلو صوته فوق صوت الزعيم ، بأختصار لم تعد هناك حرمة لمقدس أو احترام لقانون ، لقد استبيح كل شيء وأصبح لكل عائلة عراقية شهيد أو سجين أو ميعد أو مطارد ، لا يعرف متى يصطاده رصاص الحرس القاسمي ولم يعد ثمة من أمان لأحد ، فالذين يخرجون من بيوتهم في الصباح لا يعرفون أيعودون إليها في المساء أم لا ، وكثيراً ما كانت تصدر الأحكام الثورية ويشطب اسم أي مواطن من قائمة الأحياء دون ضجة أو ضوضاء .

لقد بدأ عبد الكريم قاسم فور انفراده بالحكم ، بدأ حملة انتقا  
مهمية ولم توجه هذه الحملة ضد أعدائه فحسب ، بل ضد من  
تصور أنهم قادرون على منافسته فى الحكم أو تحديه على السلطة  
إن شهداء الحرية فى العراق ، أولئك الذين نصب الحكم الأسود  
لهم خلال حكم عبد الكريم قاسم ، نصب لهم المشانق وحصد  
منهم الأرواح ، هؤلاء لن ينساهم التاريخ لما قدموه فى مواجهه  
تبشع حكم بربرى فى الوطن العربى .

#### الزعيم الأوحده :

والواقع أن حقيقة الصراع الدموى الذى أغرق فيه قاسم شعب  
العراق ، حتى كادت أمواج الدم أن تحجب عنه جلاء الرؤيا ، بل  
لقد حجبتها فعلاً ، لم يكن ذلك إلا حرباً عقائدية عنيفة ، وليس خلافاً  
على نظام أو اتجاه سياسى ، فهو خلاف بين القومية العربية الحريصة  
على عروبة العراق وتحريره من السيطرة والتبعية وبين القوى الأخرى  
التي تعمل على عزل العراق عن جسم الأمة العربية .

وهكذا فى ظل فكرة الزعيم الأوحده والشخصية المستقلة ، جر  
عبد الكريم قاسم العراق إلى هاوية سحيقة عزله عن الركب العربى  
المتحرر ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها وقفت ضد التيار الثورى الوحدوى ؛  
وعطلت تقدمه ويمكن بهذا أن نقول إن ما فعله العهد الملكى قد  
فعل مثله عبد الكريم قاسم فى ظل حكم جمهورى .

وأسوة بكل الشعوب الحية في مواجهة حكم الطغاة كان عبد الكريم قاسم يواجه ثورات شعبية عارمة ، ولعل أخطرها ثورة الموصل التي قادها الشهيد عبد الوهاب الشواف وصحيح أن ضحايا هذه الثورة كان يعد بالآلاف لأن قاسم قضى عليها بعنف وقسوة ، ولكن يمكن أن يقال إن الخط البياني أصبح في غير صالح قاسم وأعوانه بعد هذه الثورة وأن العد التنازلي بدأ بعدها لإنهاء حكم الديكتاتور الأوحده .

وبالطبع تعرض عبد الكريم القاسم لأكثر من محاولة اغتيال ، ورصدت حركة المقاومة ضده العديد من هذه المحاولات لدرجة أن فرقاً ثورية تكونت لمواجهة حكم أشبه بحرب للعصابات وكان يرأس بعض هذه الفرق وطنيون وحدويون مثل إياد سعيد ثابت ، وخالده الدليمي ، ومدحت إبراهيم جمعة ، وعبد الله الركابي ، ولكن أى من هذه المحاولات لم تفلح للقضاء على الطاغية الذي لم يتورع في إعدام زملائه من الضباط الأحرار بعد سنة واحدة وشهرين : ففي ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٩ أعدم عبد الكريم قاسم زهراء الضباط الأحرار وهم ناظم الطبقجلى ، رفعت الحاج سري ، فاضل الشقرة وكلهم شباب ملء بالحوية والغيرة الوطنية ، ولكن هكذا حكم الطغاة ، مصيدة الحرية وحرباً على الشرفاء ظناً منهم أن ذلك كفيل بتصفية الجو والتمهيد لحكم طويل بلا معارضة

ولكنهم ينسون أن كل جرح من جروح الشهيد فم يصرخ بالثأر  
وأعين الشعوب لا يخفت أبداً والماضى لا يموت ، والزمن لا ينسى  
الجراح .

ولقد كان انسحاب مجلس السيادة من ممارسة أعماله واستقالة  
العضو محمد مهدي ، ثم استقالة فائق السامرائي سفير العراق في  
القاهرة ، وعدد كبير من المسئولين في حكومة ١٤ يوليو إداة  
كاملة لعهد عبد الكريم قاسم ، الذي جعل العراق سجنًا كبيرًا  
للأحرار ، ولطخ بيديه دماء أبناء الشعب العراقي وقال سفير العراق  
في القاهرة إنه ينأى بنفسه أن يكون « سفيراً لعصابة حمراء » .

الرجل اللغز :

لقد كان عبد الكريم قاسم هو أحد هؤلاء الرجال الذي حماه  
الاستعمار بدعايته ونشراته ومراسليه ، حتى أصبح لغزاً في العالم  
في حين أنه شخص ذو كفاءات محدودة . ولقد ظهر اتجاهه  
الديكتاتوري منذ وقت قيام للثورة ، فكان يصر على أن يعقد مجلس  
الوزراء في مبنى وزارة الدفاع وأن يجتمع المجلس مع مجلس  
الرئاسة أمامه حتى لا يستطيع أحد أن يناقش أو يبدى رأياً ما لم  
يقره قاسم عليه .

كان قاسم يتبع أسلوب المماثلة في إدارة دفة شئون الحكم أكثر  
مما يحتمل الموقف وكان دائماً يبعد عن أسلوب الصراحة ، لم تكن

له هوية محددة بل كان كرسى الحكم هو هويته ، وظل مشتت التفكير ضعيف الثقافة قليل الخبرة بأمور الدولة منذ اليوم الأول لحكمه ، حتى مقتله وكان لا يفارق سلاحه قط ويبيت في وزارة الدفاع ولم يتخل يوماً عن ملابسه العسكرية ، عرف عنه الغدر فقد قام بإعفاء عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام ثم أعفاه من منصب الوزارة ، لأنه اعتقد أن عارف ، هو العقبة أمام انفرادة بالسلطة حيث أن عارف هو الذى ظهر أمام المجتمع العراقى أنه منفذ الخطة ومحرز النصر ، وفى الواقع لولا جسارة عبد السلام عارف ومهارته واستيلائه على الإذاعة ما كانت الثورة قد نجحت ولهذا اندفع الشعب وراءه كبطل ومن هنا كان عارف فى نظر قاسم هو الحجر الأول أمام سيطرته ونفوذه خاصة وأن عارف أيضاً كان بمثابة « الدينامو » فى مجلس الوزراء ، ومعروف بنزاهته وصراحة أسلوبه وقدراته على المواجهة والمناقشة وكان لا يحمى أحداً من العهد الماضى ، وإنما ينظر إليهم على حد سواء بينما كان قاسم يحابى ويحمى بعضهم ، فقاسم كان يعتقل أناساً من العهد البائد لا قيمة لهم ويترك بعض المخربين والفاستدين .

وكان قاسم فى الواقع مصاباً بلوثة عقلية انبهاراً بالوضع الذى أصبح فيه وما أحاطته به وسائل الدعاية والإعلام الغربية بصفة خاصة ، وكان يهتم كثيراً باقتراحات ترد إليه من مستشفى المجانين ، ويقرأ

بعضها علناً في مجلس الوزراء ، ويستشهد بها أنها تمدحه ، ومن ثم لاستغرب إذا ادعى قاسم أنه هو كل شيء وأنه فوق كل شيء في العالم أجمع ، لقد عاش قاسم في وهم وسط مستنقع من تعبيرات المدح والثناء والنفاق ، بحيث أصبح يدور حول نفسه ويمجد نفسه بنفسه نامياً واقعه راضياً بالسراب الذي يعيش فيه من خلال نظرات المستفيدين من حوله .

اتجاهات قاسم :

وسوف يثبت التاريخ أن عبد الكريم كان موالياً للغرب وللشيوعيين أكثر من ولاءه لأمتة العربية ، وإذا كان قد ترك للحزب الشيوعي حرية العمل ، فذلك لأنه وجد الكثير من الصفات التي يريدونها فيمن يساعده على تحقيق مآربه ، وكان التعذيب شيئاً عادياً في عهد عبد الكريم قاسم مارس هذا التعذيب بألوان متعددة وبأساليب متقدمة كانت تسمى عملياتها «حفلات الترفيه» ، وكان يمكن أن يحجز أي مواطن في المعتقل دون إبداء الأسباب ، وهناك من يكتفى بالسخرية منهم والاستهزاء بالسب والشتم وهناك من يوجه لهم التهديد ومحاوله تحطيم الأعصاب ، وإشاعة المفتريات وهناك من يضربون ويجلدون بالعصى والمراوات ، وهناك من يشنقون بالحبال ، وآخرون يعتدون عليهم جنسياً والبعض تطلق عليهم الكلاب لتمزق أجسادهم إلى غير ذلك مما نقرأ عنه في عهود البربرية الأولى .

أو يزيد ، ووصل الأمر إلى حد تجسس العائلة بعضها على بعض وإلى فرض العقوبات الاجتماعية ، ولقد انتقلت السلطة الحقيقية في المعتقلات والسجون من الموظفين الرسميين إلى الحزب الشيوعي العراقي .

### محكمة المهداوى :

ولعل أسوأ ما يلصق بعهد عبد الكريم قاسم « محكمة المهداوى » التي فاقت محاكم التفيش ، والتي قال عنها عبد الرحمن البراز سفير العراق بعد ثورة ١٤ رمضان في القاهرة :

« إن المحاكمات التي أجريت أمام محكمة الشعب أساءت إلى فكرة العدالة ومهنة القضاء بل وإلى الشعب العراقي كله إساءة بالغة ، لا يمكن تكفيرها بغير زوال العهد الإرهابي من أساسه ، وأن ضميري كان يوخزني أشد الوخز حين كنت أستمع إلى تلك العبارات المتبدلة وحين كنت أبصر تلك المهازل التي كانت تمثل على مسرح ما كان يسمى « بمحكمة الشعب » من أشخاص لا أحد في اللغة العربية كلمة تصدق عليهم » .

وكانت الأحكام الصادرة من تلك المحكمة ضد قادة الثورة والضباط الأحرار والطريقة البشعة التي نفذت فيها أحكام الإعدام لتوضح لنا روح الانتقام والإرهاب التي سادت عهد عبد الكريم قاسم طاغية العراق .

لقد بذر عبد الكريم قاسم عوائد النفط ، وضخم في أجهزة الأمن تضخيمًا خياليا امتصت جزءا كبيرا من ميزانية الدولة ، وفي عهده تدهور الإنتاج الزراعي إلى الحضيض وعمت البطالة صفوف العمال ، وعانى الشعب العراقي من غلاء فاحش وتوقف في التجارة الداخلية ، ووصل عدد من سفكت دماؤهم الطاهرة على يد هذا السفاح الطاغية ، وعصبة المجرمة أكثر من ثمانين ألف شهيد ، وأكثر من عشرين ألف مفقود وثلاثين ألفا ما بين معتقل وسجين بدون سبب قانوني ، وقد اضطرت حكومة قاسم تلافيا لمجاعة مروعة تحل بشعب العراق ، اضطرت إلى فتح باب الاستيراد للمواد الغذائية على مصراعيه .

#### عائلة الطاغية :

وكعادة كل الطغاة نجد أحد إخوة الزعيم الأوحده « حامد قاسم » يصبح بين يوم وليلة من كبار الأثرياء وكان سمسارًا لا يملك فلسا فأصبح من كبار التجار المستوردين للقمح والأرز ، هذا إلى جانب أقارب الزعيم الذين كانوا شريحة ثرية مستغلة ، ويمكن أن يقال إن من السهل أن نفعل لطاغية مثل نبرون أو مثل جنكيز بعض أفعالهما حيث كانت سمة العصر هي الحكم المطلق ، والتمتع بالسلطة واستغلال الشعوب ولكن في منتصف القرن العشرين يصبح الحكم

المطلق سبة في جبين البشرية ويصبح وجود الطاغية سطوراً سوداء  
في تاريخ الشعوب .

### الفصل الأخير :

لقد سرق قاسم ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، على حين غرة  
وغفلة ، ومعها سرق أمل الشعب العراقي في التطور والتقدم ،  
وعاد العراق إلى عهود الاستبداد والاستعباد وتحكم في حريات  
الشعب وبدد ملايين الدنانير على الوفود والاحتفالات والمسيرات  
والمؤتمرات بلا طائل ولا عائد ، وكان يحلو له أن يقلد الأباطرة  
والأكاسرة والسلاطين .

ومن أجل ذلك كان لابد أن يسقط وكان لابد وأن تنتهي قصته  
تلك القصة التي تقول إنه كان ثاني ابن لأب من أصل متواضع ،  
وأنه دخل الكلية الحربية وكان يكره الثقافة ولا يحب السياسة معزولاً  
عن زملائه صامتا ، ترى في عينيه بريقاً لا يعبر عن عبقرية بقدر  
ما يوحى بالجنون ، كان له أخ أكبر منه هو حامد وعاش في  
صغره محروماً حاقداً وشخصيته مهزوزة وغير ثابتة ، وعاش حياته  
محمياً بغيره ، لا يجب المواجهة ولكنه يعشق اللتواء ، لا يتعامل  
بالأخلاق وإنما تهمة المصلحة عاش في تحالفات متناقضة من أجل  
تحقيق أهدافه ، ظن أنه أذكى من كثيرين ممن حوله ولكنه في  
الواقع كسب شيئاً واحداً وهو لعنة شعبه إلى الأبد .

وفي نهاية أيامه عمت الاضطرابات والفوضى والإضرابات كل مدن العراق الكبرى إلى درجة أن قام قبل سقوطه بشهرين باعتقال أكثر من ٥٠٪ من طلبة بغداد ، حيث فقدت مختبرات قاسم أعصابها تماماً فانطلقت تلقى القبض على طلبة صغار لم يتجاوزوا الخمسة عشر عاماً ، وبدأ يظهر على قاسم الخوف والقلق والهلع من الغد المجهول الذي بدأ مع صبيحة يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة ١٩٦٣ ، وقاد الثورة ضد قاسم زميله السابق عبد السلام عارف مع أحمد حسن البكر مع مجموعة من الضباط الأحرار وأحس قاسم بالنهاية فبدأ يهلوس بالمفاوضات والاستسلام ، ولكن الثوار كانوا يعرفون غدره ، لذلك دكروا وزارة الدفاع وقفز عبد الكريم قاسم من سور الوزارة ولكن سرعان ما عاد إلى داخل المبنى ، ثم هرب إلى المسجد المجاور وقفز منه على مبنى قاعة الشعب ، وهي مسرح كان مخصصاً لحفلات قاسم وأتباعه ومن فوق سطح المبنى دخل القاعة فحاصرتة الجنود من ناحية وهي تصيح « سلم يا طاغية » .

وتكلم قاسم مع عارف بالتليفون ستوسلاً إليه أن يبقى على حياته وكان رد عبد السلام عارف أن الأمر لا يعود إليه وحده بل إلى زملائه .

فقال قاسم : أتريدني أن أنتحر ، ورد عارف قائلاً له : « سلم نفسك » إلى المجلس الوطني ، وقال قاسم : إنه مستعد للتسليم

ون خلع الملابس العسكرية وبدأت تظهر عليه علامات الانهيار  
لتام حيث كان يقفز من فوق الأرض مع انفجار كل قبلة أو  
نذيفة مدفوع كأنه يسمعها لأول مرة .

ويدون أن يدري قدم قاسم جميع أعوانه إلى الاعتقال ، لأنه  
كان يتصل بهم خلال حصاره بالتليفون فيعرف أماكن تواجدهم ،  
فيعتقلون فوراً ، وكان ضمن من سلموا مع قاسم ، قريه المهداوى  
الذى ظهر الفزع عليه ، وكان يتوسل باكياً قائلاً للضابط الذى  
اعتقله : « لا تقتلنى يا سيدى » ، أما قاسم فكان ساكناً كالموتى  
بينما كان « بيريا » العراق وهو الشيوعى طه الشيخ أحمد تعجز  
ساقاه عن حمله ، ورابعهم هو قاسم الجنابى ..

وفى الطريق إلى محاكمته حاول أن يتظاهر بتمالك أعصابه فرفع  
يده محيياً الجنود ولكنه فوجيء بالشعب والجنود يصقون على وجهه  
فزاد وجهه اصفراراً وارتعش جسده .

وكانت التهم التى وجهت له فى محاكمته هى أربع تهم :

١ - قاسم عدو الشعب سخر موارد البلاد لشهواته وتأمين مصالحه  
هو ومن معه .

٢ - صادر الحريات وداس الكرامة الوطنية وخان الأمانة وعطل  
القوانين واضطهد المواطنين .

٣ - استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الإجرامية لإقامة حكمه الأسود .

٤ - أفقر البلاد وصدع الوحدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة ، وطمع أمانى الشعب القومية وترك لأهله وأقاربه الفرصة للإثراء الفاحش على حساب الشعب .

كان عبد الكريم قاسم أسوة بكل الطغاة يحقد على كل صاحب مبدأ أو رسالة ، يظهر غير ما يظن ، الخديعة دائماً مرتسمة على وجهه ولا يجب إلا نفسه ، كان يدعى الزهد وهو فى ذات الوقت يقيم فى جناح لا يسكنه إلا الملوك ، كان يحب الحياة أكثر من الحياة ذاتها ، لقد قتل الآلاف لينفرد بالحياة ثم انتهى مصيره إلى القتل حيث كان القصاص العادل حرمانه من هذه الحياة التى حرّمها على الكثيرين .

ولقد جاء قاسم إلى دار الإذاعة حيث عقدت محاكمته وكان متخاذلاً وفى ذهول ويرتجف وغير قادر على الوقوف على قدميه ووضح من المحاكمة أن عبد الكريم قاسم لم يكن يعرف تفصيلات خطة ثورة ١٤ يوليو ، ولم يشارك فى وضعها ولم يعد البيان الأول لها ، وكيف كان يدعى النزاهة بينما يترك أخاه الذى أطلق عليه العراقيون « البرنس » حامد رئيساً لنادى التجارة ، وله أموال باسمه فى بنوك أوروبا وأمريكا تحت أرقام سرية .

وكان عبد الكريم قاسم نفسه يدعى أنه لا يملك سوى القميص  
الذى يرتديه بينما كان يعيش فى جناح يشبه أجنحة أعظم فنادق  
موناكو أو جزيرة كبرى .

بعد المحاكمة قرر المجلس الوطنى إعدام عبدالكريم قاسم بالرصاص  
حتى الموت وجاءت النهاية فى تمام الساعة الواحدة والنصف من  
بعد ظهر السبت يوم ١٥ رمضان ١٣٨٢ الموافق ٩ فبراير ١٩٦٣ ،  
وهكذا لقي الطاغية حتفه تحت أقدام الثوار ولم يفلت المجرم الجلاد  
والطاغية السفاح من كل ما قدمت يداه .